Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المودة، نذكر منها قوله[1]: (إنا لقرب الأستاذ، كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبرد والعذب، ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب... وهكذا تمضي الرسالة يراوح فيها بين قوله وأشعار غيره، وكيف وقع كل منهما من صاحبه موقع القرين من القرين وعلى كل فإن عبقريته قد تجلت في حل أبيات الشعر ونثرها في منثوره، فمن يقرأ المقامة الرصافية يدرك تماماً أنها صدى لقصيدتين صورا حيل المكدين أحدهما لأبي دلف الخزرجي[2] والثانية للأحنف العكبري، ذكرهما الثعالبي في يتيمته في حديثه عن أصحاب الكدية المعروفين إذ ذاك «بالساسانيين» نسبه إلى أحد أبناءالساسانيين، حرمه أبوه الملك فهام على وجهه يحتال لرزقه «بالكدية».

أما «الطباق» أو «المقابلة» فيبدو أنهما في نثره كانا بقدر، وأنه لم يتجه إليهما إلا قليلاً[3].

وإذا ضربنا صفحاً عن «الطباق» في نثره، أو «المقابلة» لأنهما وردا عنده بقدر، ثم انتقلنا إلى «فن الجناس» فقد لمسنا منه الصميم... كان غالباً على أسلوبه؛ وعلى كثرته كان عذب الموسيقى، جميل الإيقاع متى أرسل القلم على سجينه، فإن عمد إلى مداعبة الألفاظ، وتلاعب بها رغبة في إظهار المقدرة بدأ تكلفه وسقطت رتبته، فمن ذلك قوله يصف اللصوص الذين قطعوا الطريق عليه من جرجان إلى نيسابور وسلبوه ماله... «كتابي، وأنا أحمد الله إلى الشيخ، وأذم الدهر، فما ترك لي فضة إلا فضها، ولا ذهباً إلا ذهب به، ولا علقاً إلا علقه، ولا عقاراً إلا عقره، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا مالاً إلا مال

---

(١) معجم الأدباء جـ ١٦٧/٨.

(٢) أنظر القصيدة في ترجمة الحريري في آخر الباب الثالث.

(٣) من ذلك قوله:
(.. فاني وإن كنت في مقتبل السن والعمر، قد حلبت شطري الدهر، وركبت ظهري البر والبحر ولقيت وفدي الخير والشر وصافحت يدي النفع والضر، وضربت ابطي العسر واليسر، وبلوت طعمي الحلو والمر، ورضعت ضرعي العرف والنكر، فما تكاد الأيام تريني من أفعالها غريباً أو تسمعني من أحوالها عجيباً، ولقيت الأفراد، وطرحت الآحاد، فما رأيت أحداً إلا ملأت حافتي سمعه وبصره وشغلت حيزي فكره ونظره [رسائل بديع الزمان ١٠١]